(وكأنّك دخلت الجنة)

الحمد لله صاحب الفضل والإحسان أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، خلق دار الكرامة ووعد عبادَه المؤمنين بها فاستجابوا رغبةً وطمعاً ، والصلاة والسلام على من كان دليلاً للمؤمنين لدار النعيم ، الذي لن تُفتح الجنّة إلا بشفاعته ، ولن يرضى إلا بإكرام أمته ، أمّا بعد .

فلا أطيب ولا أحب ولا أروَح للنفس من الحديث عن الجنّة ونعيمها وما أعدها الله لأوليائه .

يكفي أهلها أنّهم بالقرب من ربهم عز وجل ، وهو الذي تفضّل عليهم بالتوفيق ، وهداهم للعمل الصالح ، وأكرمهم بدخولها ، وأنعم عليهم بخيراتها ، فهو المُنعم عليهم ابتداءً وانتهاءً .

ويزيد أُنسهم وتعظُم فرحتهم بجوار رسول الله وإخوانه عليهم الصلاة والسلام ، فيلقون في هذه الدار خيرة الخلق وأصفياء البشر - الأنبياء الكرام عليهم السلام - تخيّل أنك تزور أباك آدم وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وتنعم بالحديث إلى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وتأنس بالجلوس معه وبالحديث إليه .

فهل تصوّرت حجم تلك السعادة ، وروعة هاتيك المجالس ، ولذة ذلك الحديث !

وأنتِ أيتها المؤمنة ستتنعمين برؤية مريم البتول عليها السلام ، وأمّك خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة رضي الله عنهنّ ، ويطيب مجلسك مع فاطمة ورقية وأمّ كلثوم بنات نبيك عليه الصلاة والسلام وغيرهنّ من صفوة نساء العالمين .

أيها المؤمن وأيتها المؤمنة /

في الجنّة نعيم روح دائم ، وسعادة قلب متصل ، وفرح نفس سرمدية .

في الجنّة ذهاب هموم لا عودة لها البتة ، وزوال غموم لا بقاء لها أبداً ، وانقشاع أحزان بلا عودة ، ونسيان كل أنواع الألم .

في الجنّة اجتماع أحبة ، وتلاقي أرواح طاهرة ، وأنسٌ بأهل يُسعدِون ولا يسببون ألماً ، وفرح وسرور ، وضحكات متتابعات .

في الجنّة روح الأرواح ، واجتماع الأفراح ، وتلاقي القلوب ، وسعادة النفوس .

تخيّل وقد انقضى حسابُك ، وعلمت أنّك من أهل الجنّة ، ونجوت من نار الجحيم لتنال سعادة الأبد .

قد تركت دار العذاب خلف ظهرك ، واطمأن فؤادك أنّك لن تذوق حرها ، ولا تقاسي سمومها ، ولا ينالك من عذابها لفحة أو يصيب وجهك منها أذى .

فأي سعادة قد سكنت قلبك تلك اللحظات ، وأي فرح قد امتلأت به روحُك ؛ فو الله لو قُدّر لأحدٍ أن يموت من الفرح لكنتَ أنتَ - أيها الفائز بجنّات النعيم الناجي من عذاب النار - ذلك الإنسان .

تخيّل وأنت تسير إلى الجنّة بتلك الأقدام التي طالما حملتك إلى مواطن العبادات من مساجد ، ومجالس العلم وصلة رحم ، وخطوت بها لمعونة النّاس وتفريج كروبهم ؛ فاليوم تلقى جزاء صنيعك وثواب أعمالك .

- وكأنك أقبلت على الجنّة -

فاستقبلتك ملآئكةُ الرحمن استقبال المكرِمين للملوك - فأنت اليوم ملِكٌ - وكيف لا تكون كذلك ، وقد آثرت مراضي ربك ، وقدّمتَ أمره على هواك ، فلم تغرك الدنيا بزخرفها ، ولم تسيطر عليك بشهواتها ، فقد صرت وليّاً لله تعالى ، فلذا يأمر اللهُ تعالى ملآئتَكه ليحتفوا بك ويُكرموك ، وتسمع ندائهم :

هنيئاً لك يا عبد الله وقد تركت خلفك كل تعب ونصب .

هنيئاً لك يا عبد الله تصديقك بربك ، وإيمانك بمولاك ، ويقينك بالغيب .

هنيئاً لك يا عبد الله يوم كنت تصلي مع المصلين ، وتصوم مع الصائمين وتحج مع الحجيج ، وتتصدق مع المتصدقين .

هنيئاً لك يا عبد الله يوم آثرت آخرتك على دنياك ، وصبرت لنيل هذا النعيم ، وصدقت بموعود رب العالمين .

قال تعالى واصفاً دخولك جنّةَ النعيم :

" يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا "

وقال " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ "

فهم وفود وجماعات تساق أفواجاً وجماعات إلى الجنّة .

بالله تخيّل معي هذه النفوس وهي ذاهبة إلى الجنّة ، وهي ترى أنّها ستدخل إلى دار السرور والأفراح والنعيم والسعادة والأنس ، ولقد قضى الله أن يُكرم هذه النفوس الطاهرة قبل دخول الجنّة بعطية مباركة تزيد في طهارتهم ونقائهم ، جاء في الحديث :

" أنّ أهل الجنّة يمرون بشجرة في أصلها عينان فيشربون من الأولى فلا تترك في بطونهم أذى ، ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا يشعثون ولا يتغيرون "

سيذهب عنكم - أيها المؤمن وأيتها المؤمنة - اليوم كل أذى ، وسيزول عنكم كل كدر من باطن الجسد ومن خارجه ، فلا بول ولا غائط ولا أذى تتقذر منه النفوس ، ولا تغيّر في الهيئة الخارجية بل الحال أنّكم في زيادة من الحسن وجمال الوجوه ورقة الأبدان .

(فيا الله كم لأهل الجنّة من نعيم مدّخر ، وكم لهم من عطايا لم تخطر لهم على بال)

فقلي بربك هل تستحق الدنيا أن نؤثرها على مثل هذا !

أو نضحي بمثل هذا لأجل أقذار وأوساخ لا تعدل لحظة من نعيم !

ولجلالة قدر الجنّة وعظيم منزلتها أنّ ريح الجنّة تُشم من مسيرة خمسمائة عام - وهؤلاء هم أعلى أهل الجنّة منزلة - وبعضهم يشمها من مسيرة مائة عام ، وبعضهم من مسيرة أربعين عاما وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأعمال .

أهل الجنّة - جعلك الله منهم - يصلون الجنّة فيجدون نبيهم عليه الصلاة والسلام قد سبقهم إليها ليستفتح لهم دار الكرامة والرضوان ، فتُفتح له إظهاراً لمكانته ورفعة له - بأبآئنا هو عليه الصلاة والسلام وأمهاتنا - فلا تُفتح لأحدٍ قبله ، فيجدون الجنّة قد فُتِّحت لهم فيصلهم من رَوْحها وعطرها وريحانها ما تشتاق معه نفوسُهم، وتفرح له قلوبُهم.

الجنّة أبوابها ثمانية ، وكل باب أعلى من الآخر فهي درجات بعكس النّار - أجارك الله منها - فهي دركات في سفول عياذاً بالله .

بعض أبواب الجنّة كما بين مكة وهجر ، وبعضها عرضه أربعين سنة ، فهل تخيّلت السعة والعظمة " وليأتين عليها يوم وهو كظيظٌ من الزحام " .

يدخلُ أهل الجنّةِ الجنّةَ وهم ممسكين ببعضهم أُنساً وسعادة وتراحماً ؛ فلله درّ تلك النفوس الطاهرة وقد جمعهم الإيمان بربهم ورسله ، ويقينهم بالموعد والقيامة ، وقيامهم بالعبادات ، وهم درجاتٍ عند ربهم ، فمنازلهم متفاوته و لك أن تتخيّل أنّ " مابين كل درجة ودرجة مسيرة خمسمائة عام " وكلما صعد المؤمن درجة كلما زاد النعيم والسرور والحبور ، فلذلك طمعت نفوسٌ المؤمنين في هاتيك المنازل العالية ولم ترض بالأقل .

أدنى أهل الجنّة منزلةً - وليس فيهم دني – " من يسير في ملك ألفي عام " هل تخيّلت هذا (ألفي عام وهو يسير في ملكه) وهو أدناهم منزلة ، فبالله عليك ما حال الأرفع منه درجة كيف هي جنّته !

والأرفع الآخر كيف هو !

وكيف هي منازل أهل الدرجات العالية ، وكيف هي جنانهم ! ؟

(يا رب نسألك من فضلك)

جاء في الحديث - كما عند الإمام مسلم :

" أنّ موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : رجل يجئ بعد ما دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ فيقال له : أدخل الجنة ، فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم ، فيقال له أترضى أن يكون لك مثل مُلكِ ملِك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب! فيقول هذا لك وعشرة أمثاله. ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك "

تخيّل هذا أدنى أهل الجنّة منزله ، مَن له خمسون ضعفاً مِن مُلكِ ملِك من ملوك الدنيا .

وفي الطبراني : " أن أدنى أهل الجنة درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة " قال ابن حجر اسناده قوي .

وفي البخاري : " لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها " تخيّل قدر سوط في الجنّة أعظم من جميع ما في الدنيا فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات .

وتتفاوت صورهم عند دخول الجنّة ، ففي الصحيحين : " أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر و الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة " و في حديث آخر : " متماسكون آخذ بعضهم بعضا لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم " فيدخل السبعون ألفاً الجنة صفاً واحداً على دفعة واحدة آخذ بعضهم بيد بعض .

-وكأنك دخلت الجنّة -

فرأيت حصبائها في أجمل صورة وأبهى حلة ، جاء في الحديث بأن تربتها (الزعفران) رواه الترمذي

وفي الصحيحين " أدخلت الجنة...وإذا ترابها (المسك) "

قال أهل العلم :يُجمع بينها بأنها تختلف باختلاف الجنة فبعض الجنان ترابها مسك ، وبعضها زعفران ، وقيل اللون لون الزعفران و الريح ريح المسك و هذا أجمل ما يكون .

فلا يوجد في الجنّة حصى أو حجارة صغيرة بل " حصباؤها اللؤلؤ و الياقوت "فترابها نعيم ، وحصباؤها نعيم ، وبناؤها نعيم وتجري في وجوه أهلها نضرة النعيم ، من يدخلها لا يلقى فيها إلا النعيم ، فيا رب ارزقنا دار النعيم المقيم .

- وكأنّك دخلت الجنّة -

واستقبلك الولدان المخلدون الذين خلقهم الله فقط لخدمتك وقد وصفهم الله لك – يا ولي الله - بأعظم الوصف فهم ولدان مخلدون بهيئة ثابتة لا تتغيّر ولا تتبدل .

ومن أوصافهم " كأنّهم لولؤ مكنون " وكم يقف المرء متحيراً أمّام هذا الوصف ، فالولدان كاللؤلؤ ، فما هو حال السيد لهؤلاء !

وفي وصفهم ب " المكنون " ما يدل على اختلاف الحال في الجنّة ، فالمكنون وهو : المستور المصون الذي لم تبتذله الأيادي ، فهم غاية في الحسن و الجمال والبهاء و البياض وحسن الخلقة ، وهذا من العجب فكيف هم خدم لم تتغيّر أوصافهم ولم تتبدّل مع أنّ شأن الخدمة التغيّر والشعث وذهاب المحاسن ، ولكن لأنّها الجنّة التي لا شبيه لها فستبقى محاسنهم وبهجتهم مع انتصابهم في الخدمة .

ومن أوصاف هؤلاء الخدم أنّك " إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً " وفي هذا إشارة إلى أنهم غير معطلين بل مبثوثون منتشرون في خدمتهم و تلبية حوائجهم بسرعة و نشاط و استمتاع ، كما أنّه يدل على سعة المكان وتفرقهم في حوائج سادتهم وذهابهم ومجيئهم بحيث لا يحتاجون إلى أن ينضم بعضهم إلى بعض بسبب ضيق المكان .

- وكأنك دخلت الجنّة -

وجلست تحت قصورك وخيامك وغرفك .

ومساكن أهل الجنة على ثلاثة أنواع :(قصور ، وغرف ، وخيام) ولكن هل تظنّ أنها كمباني الدنيا ؛ لا ومالكِ يوم الدين .

فالقصور بنائها لَبِنةٌ من ذهب ولَبِنةٌ من فضة وملاطها المسك .

وبعض القصور من الذهب الخالص ففي الصحيحين يقول عليه الصلاة والسلام عن قصور الجنّة :

" جنتان من ذهب آنيتهما و ما فيهما ، و جنتان من فضة آنيتهما و ما فيهما"

ومن مساكنك التي تنعم بها – يا ولي الله - (الغرف) يقول ربك الكريم:

" لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ "

فأخبر بأنها مبنية حقيقة كأنك تنظر إليها وبعضها أرفع من بعض ، ومن جلالة قدرها

" إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام و ألان الكلام و أفشى السلام وصلى بالليل و الناس نيام "

فهنيئاً لنفوس بلغت ذلك الفضل .

ومن مساكنك التي يتفضّل بها عليك (الخيام) ولكن هل تظن أنّها كخيام الدنيا ، بل انظر لوصفها مما لا تدرك كنهه العبارة أو الإشارة ، يقول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : " إنّ للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، لا يرى بعضهم بعضاً "

فهل تخيّلت هذه اللؤلؤة العظيمة التي يقارب طولها مائة كيلو متر ، فانظر كيف سيُكرمك الله بهذه المنازل المنوّعة مابين قصور وغرف وخيام بوصف غير معهود وبناء على غير العادة كرامةً لك يا عبد الله وكرامة لكِ يا أمة الله .

ويزيد جمال هذه القصور والغرف والخيام أنّها على ضفاف أنهار كما وصف الله

" تجري من تحتها الأنهار "

وهـذه الأنهـار سـارحة مـن غـير أخاديـد أو حيطـان تُمسـكها لـئلا تفـيض وهذا من العجب !

تخيّـل قصـــرك وقـد اتكـأت عـلى أريكتـك فيـه ، يغـدو عليـك الولـدان المخلدون .

فتخيّـل تلـك الجلسـة الهانئـة وقـد اجتمعـت بأهلـك مـن أهـل الجنّـة ، الأنـس والسـرور والضـحكات تحـيط بكـم ، والفـرح والسـعادة قـد مـلأ ذلك المكان .

وقـد أشرف قصـرُك عـلى أنهـار الجنـة ، وهي أربعـة (مـاء غـير آسـن ولا متكـدر ولـم يلحقـه أذى في رائحتـه أو منظـر ، ولـبن لـم يتغـير طعمـه بـل هـو كامـل كأشـد مـا يكـون مـن طعـم ولـون ، وعسـل صـاف لـم يعكـره شـمع ولا يُلحـق مـن يلعقـه أذى ، وخمـر لـذة لمـن شرب وفـرح وسرور لمن ذاق)

وهـذه الأنهـار غـير معهـودة في الـدنيا و لا نظـير لهـا ، إذ لا نتخيـل وجـود أنهـار اللـبن أو الخمـر أو العسـل تجـري بتـدفق و انـدفاع في دنيانـا اليـوم ، وخـص هـذه الأنهـار بالـذكر لكونهـا أفضـل الأشربـة فالمـاء لـريهم و طهـورهم و العسـل لشـفائهم و نفعهـم و اللـبن لقـوتهم و غـذائهم و الخمـر للـذتهم وسرورهـم ، ولـتعلم كمـال هـذه الأنهـار فقـد أخبرنـا نبينـا عليـه الصـلاة والسـلام أنّهـا تتفجـر مـن الفـردوس - وهـو أعـلى الجنّـة - فهي أنهارٌ عظيمةٌ في شأنها ، كريمة في منبعها .

ومما أكـرم الله بـه نبيـك عليـه الصـلاة والسـلام - نهـر الكـوثر - وهـو نهـر عجيـب " فحافتـاه قبـاب اللؤلـؤ المجـوف وترابـه المسـك وحصـباؤه اللؤلـؤ واليـاقوت طعمـه أحـلى مـن العسـل ، لونـه ابـيض مـن الـثلج حولـه طيور رقابها كرقاب الجزور يعني مثل الإبل "

فتخيّـل وقـد نصـبت الخيـام عـلى حافـة الكـوثر فتشـرب أنـت وأهلـك منـه وتتمتّـع بطعمـه وتنتشـون بريحـه وتـأكلون مـن هـذه الطيـور فيـا لها من رحلة ما أجملها ونزهة ما ألذها وأطيبها .

- وكأنك دخلت الجنّة -

واستأنست تحت عيونها وبساتينها في الجنّة " جنات وعيون" و" ظلال وعيون " تحت ظلالها ومنتزهاتها.

وهذه (العيون) متنوّعة في جمالها وجريانها ليزداد أهل الجنّة فرحاً وسروراً فمنها ما هو جارٍ ومنها ما هو ناضخ أي : فوّارتان بالماء لا تنقطعان أبداً .

وهذه العيون منها ما هو ممزوج بالتسنيم وهي : عين ماء في الجنة ، رفيعة القدر ، تتنزل من علو ، يمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين و سائر أهل الجنة ، و هي أشرف شراب أهل الجنّة .

ومنها ما هو ممزوج بالكافور كأطيب ما يكون من رائحة ، ومنه ما هو سلسبيل للمقربين ترشف منه – يا ولي الله - خالصاً من غير مزج .

- وكأنك دخلت الجنّة -

ليُتحفك خدمُك وأهلُك بالأشربة اللذيذة المتنوعة ، وشراب أهل الجنّة سالماً سائغاً لا لغو فيه ولا تأثيم .

ومن سعادتك في جنّتك ولحظات شربك لشرابها أنّك تُنازع أهلك الكأس فيها ، فيُناول بعضُكم بعضاً ليتم بذلك فرحكم وسروركم و تمتعكم بالأكل والشرب

وطعام أهل الجنّة وشرابهم مصرفه جشاء كرشح المسك ، ورشح كرشح المسك وذلك لطيب طعامهم ولطافته واعتداله ؛ سئل نبينا ﷺ : ما بال الطعام – يعني كيف مصرفه - قال :

" جشاء ورشح كرشح المسك " و قال أيضا : " حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر "

تتنعّم بالجنّة – يا ولي الله - بالصِحاف والأباريق والكؤوس والأكواب والقوارير وهي : " قوارير من فضة " مما لا نظير له في الدنيا ، إذ لها بياض الفضة وصفاء الزجاج وشفافيته " قدروها تقديرا " أي على قدر حاجتهم لا تزيد و لا تنقص وشرابك من " كأساً دهاقاً " و هي الممتلئة و المتتابعة فهي لا تنقص عن قدر

حاجته و لا تزيد كما أنها تدور بلا انقطاع و لا خوف من مضرتها بسبب كثرة الشرب .

وبينما أنت جالس على أرائك وسررك تتدلى عليك ثمار الجنّة فتقطف منها ما تشاء دون تعب منك أو نصب ، قال ربك الكريم الجواد : " قطوفها دانية " فهي سهلة لمن أرادها قياما وقعودا ومتكئين وقد " ذللت قطوفها تذليلاً " .

- وكأنّك دخلت الجنّة -

فتنعمّتَ بفرشها ، وعلوتَ على أسرتها ، واتكأتَ على أرائكها ، حولك أهلك وخدمك .

تلك الفرش المرفوعة التي علت على القدر الذي تريد فلا تتعب معه ولا يثقل عليك الصعود .

تتقابل فيها مع أهلك وأصحابك وخلانك ، وعجيب تقابل الفرش مع كثرة أهل المؤمنين في الجنّة فهم جميعاً على سرر متقابلين وهذا لا يكون أبداً في الدنيا ، فالكثرة توجب التفرّق والتدابر أمّا الجنّة فلا ، ولا تقل كيف ؟ لأنّها الجنة .

وفرش أهل الجنّة (موضونة) أي مضفورة بالذهب ، و (مصفوفة) بعضها إلى جانب بعض لا بعيداً عن بعض ، ومن صفاتها أنّها : متنوّعة و ناعمة و جميلة و مرتفعة و لينة و مبثوثة وفي الجنّة (نمارق مصفوفة) : وهي الوسائد المرتبة للاستناد والاتكاء و الترفه ، ومن كمالها أنّها مصفوفة و جاهزة للخدمة و الاستعمال و الزينة و في الجنّة (زرابي مبثوثة) وهي البسط والزوليات منتشرة في كل مكان وجاهزة للجلوس والاستخدام لا يحتاج الانتفاع بها إلى انتظار لفرشها كما أنها تعطي الجمال للمجلس و فيها (رفرف خضر ...) وهي ما يوضع فوق المجالس للزينة و حسن المنظر فتزيد عليها حتى تصير كالرف من تحته لزيادة الحسن و المنظر و(عبقري حسان) منسوج نسجاً حسناً فاخرا جميلاً لهذا وصفها بالحسن الشامل و هذا يشمل حسن الصنعة و حسن المنظر و نعومة الملمس.

وقد وصف الله باطن فرش أهل الجنّة بأنّه (من إستبرق) وهو خالص الحرير ، والعادة أن بطائن الفرش الذي لا يراه الناس لا يهتم بجودته و لكن فرش الجنة (بطائنها من استبرق) فإذا كان باطنها من حرير ، فما بالك بظاهره !

- وكأنّك دخلت الجنة -

وقد أكرمك الله بأحسن الثياب وأجمل اللباس ، فلباس أهل الجنّة (السندس) وهو ما رَقّ من الحرير و (الإستبرق) وهو : ما غلُظ من الحرير .

والحرير : ألين ما يكون على الجسد ، وهو كأعظم ما يكون رقة وأجمل ما يكون منظراً ، وإضافة إلى حسن ملابسهم و لينها و جمالها ، فإنّ الله يُكرم أهل جنّته بلبس الحلي في إطرافهم ، والتيجان على رؤوسهم ليزدادوا حسنا و جمالا و ترَفهاً في جنات النعيم .

وهذه الحلي على له ثلاثة أنواع ، منها الذهب ، وهو للرجال والنساء على سواء ، ومنه اللؤلؤ الذي به يزداد جمال المؤمن والمؤمنة ، ومنها الفضة المغرية بشكلها .

تتنوّع حليهم إكراماً لهم ، وانظر في عِظم هذه الأساور ، جاء في سنن الترمذي يقول عليه الصلاة والسلام :

" لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سوارهُ لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم "

فيا لكرامة المؤمنين على ربهم ، ويا سعادة نفوسهم في دار الحبور .

- وكأنّك دخلت الجنّة -

فتنعمّت بأطيب الحديث وأجمله وأرقه وأبعده عن الفحش والخنا والزور والكذب ، وتَمّت نفوس تُعظّم هذا ، ولذا يهبهم الله هذا النعيم فقال في كتابه - عن أهل الجنّة - " لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً "

وسعادة الأرواح - كما هي في الأبدان - فهي كذلك بسمو الطبائع ، وعلو النفس ، وارتفاع الهمّة ، ورقي الطبع .

- وكأنك دخلت الجنّة -

واستمتعَت نفسُك بأزواجها ونسائها ، وقد خلقهنّ اللهُ طاهرات مطهَرات من كل دنس ، وخلُق سيء ، وخِلقة تنفر منها النفوس فقال سبحانه " ولهم فيها أزواج مطهرة "

فنساء الدنيا مهما بلغ بهنّ الحسن والجمال فلا بد وأن ترى فيهنّ عيباً فكمالهنّ معتذر .

ولئن كنّ قد حزن بعض الجمال الظاهر ففيهنّ من العيوب مافيهنّ في خِلقتهنّ وبعض أخلاقهنّ ، شأنهنّ شأن الرجال .

أمّا نساء الآخرة فهنّ المتحبِبات لأزواجهنّ ، المتبعِلات لهنّ ، اللاتي قد خُلقنّ بأجمل صورة وأكمل وصف .

فلا عيب في خِلقه ، ولا سوءً في خُلق ، ولا إغضاب لزوج ، ولا خيانة وسوء أدب ؛ بل محبةٍ متزايدة ، وكمال قد كمُل ، ورِقة قد بلغت المنتهى .

وقد خلقهنّ سبحانه " أتراباً " في سنٍ واحدة ثلاث وثلاثين عاماً لئلا تفضل بعضهنّ على بعض .

وجعلهنّ سبحانه " عُرباً " أي متحببات لزواجهن ، محبوبات لهم ، وهنّ العواشق المتحببات الغنجات ، الشكِلات المتعشقات الغِلمات ، وهذا يتضمن حسن العشرة وحسن الصورة وهو غاية ما يُطلب من النساء .

ولكمالهنّ فهنّ " قاصرات الطرف " و " مقصورات " قد قصرنّ طرف أزواجهم عليهنّ لبلاغة حُسنهنّ ، وقصرنّ هنّ أطرافهنّ على أزواجهم وهو أكمل مايطلبه الرجل .

وهذا معنى " خيرات حسان" فقد جُمع لهنّ حسن الباطن و الظاهر .

(ولا يحزنّ المؤمنات الصالحات القانتات فهنّ عند الله أكمل ، لكمالهنّ بعد البلاء ، ولعبادتهنّ رب الأرض السماء ، فهنّ الأميرات المكملات ، وهنّ البالغات في الحسنّ ما لم يخطر لهنّ على بال ، وقد سلمهنّ الله من كل ما يُعكّر عليهنّ نعيم الجنّة يدل على هذا قول الله تعالى " و ننشئكم في مالا تعلمون " فتتغيّر الأحوال يوم

القيامة ، فلا غيرة و لا حسد ولا غل ولا حقد أحاسيس مؤذية ، فلا تفوّتي عليك هذا النعيم بدنيا زائلة)

زوجتك – يا ولي الله – حوراء عيناء ، والحوراء : هي التي يحار فيها الطرف من رقتها و صفائها ، فالمرأة إذا اشتد بياض عينها واسوّد سودها صارت (حوراء عين) فكيف إذا أضيف إلى ذلك بياض الجسد ورقته وصفائه ، ولذا جاء في وصف حور الجنّة أنّهن يُرى مخ ساقها – من صفائه – من وراء اللحم .

والعيناء – أيضاً – هي عظيمة العين مع جمال أشفارها وأهدابها .

فيا لله العجب في هذا الحسن والجمال الذي أعده الله لك .

وحتى تُدرك – ولو - بعض كمال نساء الجنّة (وللمؤمنة الكمال منه) تأمل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لك كما عند البخاري :

"..لو اطّلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا و لأضاءت ما بينهما و لنصيفها على رأسها خير من الدنيا و ماعليها .." .

ومن كمال حالك – يا ولي الله – مع زوجتك أنّ الله " يُعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله : أو يطيق ذلك ؟ قال : يُعطى قوة مائة رجل " قال ابن القيم: هذا حديث صحيح.

وعند أحمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه " إنّ الرجل من أهل الجنة ليُعطى قوة مائة في الأكل والشرب والجماع والشهوة" وهو حديث صحيح .

ومع هذا فلا تلحقهم جنابة ولا يحتاجون إلى تطهير ولا ينتابهم ضعف أو فتور ولا يشعرون بتعب أو انحلال للقوة بل وطؤهم وطء تلذذ والتذاذ و نعيم .

قال ابن القيم : وأكمل النّاس في الجنة أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام ، فكما أنّ من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة وكذلك من لبس الحرير ، فمن ترك اللذة المحرمة لله في الدنيا، استوفاها هناك كاملة ومن استوفاها هنا حُرمها في الآخرة أو نقص منها .

ونعيم ولي الله مع زوجاته أكمل النعيم وأوفاه ، تأمل قوله تعالى :

" هم و أزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون*يدعون فيها بكل فاكهة آمنين " فهم في أحسن المجالس ال " موضونة" : أي المرصعّة بالذهب ، مع أهليهم " متقابلين" والخدم معهم أباريق لتعبئة الأكواب والكاسات ، والفاكهة تروح وتغدو عليهم ، والمؤمن مع أهله " في روضة يُحبرون " إذ تغني لهم أزواجهم في الجنة في مجالس أنس وروضات لا يعلم لذتها و طبيعتها إلا من أكرمه الله بها

ففي صحيح الجامع يقول عليه الصلاة والسلام :

" إن أزواج أهل الجنة ليُغنين أزواجهن بأحسن أصوات ، ما سمعها أحد قط ، و إن مما يغنين : نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ينظرن بقرة أعين ، و إن مما يغنين : نحن الخالدات فلا يمتن و نحن الآمنات فلا يخفن نحن المقيمات فلا نظعن "

قال محمد بن المنكدر: إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم و أنفسهم عن مجالس اللهو و مزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك و أسمعوهم تمجيدي و تحميدي .

أيها المؤمن أيتها المؤمنة

أرأيتم ذلك النعيم الذي طفتم به مما سبق ، كيف هو عظيم وجليل ، هل تتخيّلوا أنّ هناك نعمة تُنس أهل الجنةِ ذلك النعيم !

تتسائل أوَ يكون ذلك ؟

الجواب : نعم .

من يتخيل أن يكون في هذا النعيم من النساء والمآكل والمشارب والمناظر الجميلة والأنهار والعيون والخدم ثم يذهل عنه وينساه ولا يتذكره .

نعم حين يعطيهم ربهم أفضل نعيم يعطاه مخلوق (وهو النظر إلى وجه الكريم في جنّات النعيم)

سيرى المؤمنون ربَهم الذي خلقهم وأنعم عليهم بالإسلام وهداهم لدينه .

الله الذي كانوا يسجدون ويصومون ويحجون له .

الله الـــذي امـــتلأت قلـــوب أوليائـــه بمحبتـــه وخشـــيته ، واستأنســـت النفوس بذكره .

الله الذي خلق هذه الجنّة ، وهذا النعيم .

الله الذي أنقذهم من عذابه .

ففي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام :

" إذا دخـل أهـلُ الجنـةِ الجنـةَ نـادى منـاد يـا أهـل الجنـة إن لكـم عنـد الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، يقولون ما هو ؟

ألـم يبـيّض وجوهنـا ويـدخلنا الجنـة ويجرنـا مـن النـار قـال : فيكشـف الحجـاب فينظـرون إليـه فمـا أعطـاهم شـيئا أحـب إلـيهم مـن النظـر إليـه - وهو الزيادة- "

تأمّل قوله " فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه "

فيـا قـرة عينُـك برؤيـة الـرحيم في جنّتـه ، وتمتـع نظـرك في النظـر إليـه ، فهذه هي " الزيادة " وذاك هو " المزيد " الذي وعد الله به أوليائه .

في "سـنن ابـن ماجـه" قـال رسـول الله - صـلَّى الله عليـه وسـلَّم -: ((بَيْنَـا أهـل الجنَّـة في نعـيمهم إذ سـطَع لهـم نـورٌ، فرفعـوا رؤوسـهم فـإذا الـربُّ قـد أشرف علـيهم مـن فـوقهم فيقـول: السـلام علـيكم يـا أهـل الجنَّـة، وذلـك قولـه: ﴿ سَـلاَمٌ قَـوْلاً مِـنْ رَبٍّ رَحِـيمٍ ﴾ فيرفعـون رؤوسـهم فينظُـرون إليـه وينظُـر إلـيهم، ولا يلتفتـون إلى شيءٍ مـن النعـيم حـتى يحتجب عنهم، فيبقى نورهُ وبركته عليهم وعلى ديارهم ومنازلهم)).

عـن عـليٍّ بـن أبي طالـبٍ - رضي الله عنـه - قـال: إنَّ الله إذا أسـكن أهـل الجنَّـةِ الجنَّـةَ وأهـل النـارِ النـارَ بعَـث إلى أهـل الجنَّـة الـروح الأمـين فيقـول: يـا أهـل الجنَّـة، إنَّ ربَّكـم يُقـرِئكم السـلام، ويـأمُرُكم أنْ تـزوروه إلى فنـاء الجنَّـة، وهـو أبطـح الجنَّـة (المكـان الفسـيح الـذي يمـرُّ بـه السـيل فيـترك الحصـى) تربتـه المسـك وحَصـباؤه (حَصـاه) الـدرُّ واليـاقوت، وشـجره الـذهب الرطـب، وورقُـه الزمـرد، فيخـرُج أهـل الجنَّـة مستبشِـرين مسـرورين، فـثَمَّ يجمعهـم وثَـمَّ كرامـة الله والنظـر إلى وجهـه،

وهو موعد الله أنجَزَه لهم، فيأذن الله لهم في السَّماع والأكل والشرب، ويُكسَوْن حُلَلَ الكرامة، ثم يُنادي مُنادٍ: يا أولياء الله، هل بقي ممَّا وعدَكُم الله (ربكم) شيء؟ فيقولون: لا، وقد أنجزنا ما وعدنا، فما بقي شيءٌ إلا النظر إلى وجهه، فيتجلَّى لهم الرَّبُّ - تبارك وتعالى - في حُجُبٍ فيقول: يا جبريل، ارفَعْ حجابي لعبادي كي ينظُروا إلى وجهي، قال: فيرفع الحجاب الأوَّل فينظرون إلى نورٍ من نور الرب فيخرُّون له سُجَّدًا فيُناديهم الرب: يا عبادي، ارفَعُوا رُؤوسكم؛ فإنها ليستْ بدار عملٍ إنما هي دار ثواب، فيرفع الحجاب الثاني فينظرون أمرًا هو أعظم وأجل، فيخرُّون لله حامِدين ساجِدين، فيُناديهم الربُّ: أنِ ارفَعُوا رُؤوسكم؛ إنها ليست بدار عملٍ، إنما هي دار ثواب ونعيم مقيم، فيرفع الحجاب الثالث فعند ذلك ينظُرون إلى وجه ربِّ العالمين فيقولون حين ينظرون إلى وجهه: سُبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك، فيقول: كرامتي أمكنتكم من النظر إلى وجهي وأحلَّتْكم داري، فيأذن الله للجنة: أنْ تكلَّمي، فتقول: طُوبى لمن سكنني، وطُوبى لمن يخلد فِيَّ، وطوبي لمن أُعدِدت له؛ وذلك قوله تعالى: ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، (ابن القيم /

فيا الله كم هي فرحة المؤمنين والمؤمنات وهم يرون ربهم

هذا ربهم سبحانه : (الجميل الذي خلق الجمال ، الرحيم الذي رحمهم بدخول جنته والنجاة من عذابه ، الكامل في ذاته وأوصافه ، النور الذي نور كونه من بعض آثار نوره ؛ ووالله لولا أنّ الله لم يخلق لأهل الجنّة القدرة لما استطاعوا رؤية الله ، كيف وهو - الله - الخالق القوي العزيز العظيم - ولكنّه الرحمة منه سبحانه)

رؤية الله في الجنّة هي أعظم نعمة ، وأكبر عطية ، وأجل شأن ، وأرفع فوز .

هل تخيّلت ساعة النظر إلى ربك في يوم المزيد ومتعّت بصرك برؤيته ، فأي هبة قد وهبك الله إياها ، وأي منّة قد تفضل بها عليك ، وأي رحمة قد رحمك بها ، وأي رزق قد رزقك إياه .

والمؤمنون يتفاوتون في رؤية الله ، قال ابن تيمية :

(وقد جاءت الآثار عن النبي ﷺبأنه تبارك وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة، وأن أعلاهم منزلة من يرى الله كل يوم مرتين)

فمنهم من يراه كل أسبوع ، ومنهم من يراه بكرة وعشيا ، وذلك حسب إيمانهم وتقواهم وطاعتهم لربهم .

ويختلفون أيضاً قُرباً وبُعداً من ربهم بسبب مسارعتهم للطاعات وبطئهم عنها ،

قال ابن مسعود رضي الله عنه :سارعوا إلى الجمعة فإن الله يبرز لأهل الجنة في كل جمعة في كثيب من كافور فيكونون في قرب منه على قدر تسارعهم إلى الجمعة .

وبعد استقرار أهل الجنة فيها يكلمهم الله وينادیهم بأعظم نداء تسمعه أذان ، وأرفع خطاب ، وأجلُّ بشرى ، وأوكد طمأنينة ، يناديهم الله :

بالرضا الذي لا سخط معه أبداً ، والأمن من الخروج والأمن من تغيّر أحوالهم .

فيا لذة نفوسهم ، ويا لطمأنينة قلوبهم .

فقد صاروا في أمان من الخروج من دار النعيم .

أمان من فقدان المتع .

أمان من الحرمان من لذائذ الجنّة .

وأعظمها الأمان من سخط ربهم عليهم ، فهو رضوان أبدي سرمدي لا انقطاع له ولا زوال ، ولا خوف معه ولا رهبة من فقدانه ، جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال :

" إنّ الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحِلُ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا "

فيا لمنتهى السعادات ويا لكمال النهايات ويا لسعادة خلقٍ قد أمِنوا من سخط ربهم ، تتابع سرورهم ، وكمال أفراحهم .

هذه الجنة يا عبد الله ويا أمة الله .

أعدها الله لعباده المؤمنين الطائعين له ، فلتحرصوا عليها ، فهي دار الكرامة ودار الخيرات .

كم هي النسبة بين حياة الدنيا وحياة الأبد في الجنّة !

وما أعظم الفرق بين الدارين في كل شيء ، فالعاقل منّا من آثر الباقي على الفاني ، ومن قدّم دار النعيم المقيم على دار الأحزان والآلام ، فاستعينوا بالله ، فإنّما هو صبر أيام ويكون مسكنكم هذه الدار .

اللهم آمنّا بك ولم نرك ، وأيقنا بجنتك ولم ندخلها .

اللهم بإيماننا بك وبنبيك وبجنتك اجعلنا من أهل فردوسك الأعلى مع النبيين والصديقين .

اللهم آمين .

كتبه طامعاً في جنة ربه / العبد الفقير لعفو ر

عادل بن عبدالعزيز المحلاوي

المملكة العربية السعودية / محافظة أملج (الحوراء)

١٤٣٩/٨/١٨ من هجرة لمصطفى عليه الصلاة والسلام